الفصل السادس

مع الإمام حسن الهضيبي

(1)

مصطفى أمين يدلي بشهادته!

وهذه شهادة أخرى من رجل كان داره الصحفية في العهد الناصري حرباً شرسة على جماعة الإخوان المسلمين.. إنه الأستاذ الراحل مصطفى أمين. ففي الخامس من يونيو يوم (1982م) كتب فكرته[1] عن الأستاذ حسن الهضيبي المرشد الثاني لجماعة الإخوان المسلمين وقد التقاه فترة طويلة في السجن.. جاء فيها ما يلي:

«أعجبت بصموده.. انهالت على رأسه الضربات فلم يركع، حاصرته المصائب فلم ييأس.. تلقى الطعنات من الخلف والأمام، فلم يسقط على الأرض.

رأيته في محنته أقوى منه في مجده.. سقط من المقعد واقفاً، وغيره يجلس فوق المقعد راكعاً، رأيته يستعذب الحرمان وغيره لا يستعذب إلا بالسلطان.

رأيته يستقبل المحنة بابتسامة كأنه يستقبل النعمة، ينام على الأسفلت، وكأنه ينام على مرتبة من ريش النعام، ويأكل الخبز الممزوج بالتراب، ويحمد الله كأنه تناول الطعام على مائدة ملكية.

عشت معه سنوات طويلة، كان بين زنزانته وزنزانتي زنزانة واحدة، وكانت

(1) مقال يومي كان ينشره في جريدة الأخبار المصرية.

بينه وبين المسجونين السياسيين مناقشات طويلة، كان عدد من المسجونين الذين عُذّبوا وصُلبوا وضُربوا وأُهينوا وانتُهكت أعراضهم يصرون على الثأر والانتقام من معذبيهم، بعد أن يخرجوا إلى الحرية.. فكان يعارضهم ويقول لهم: هذه مهمة الله، وليست مهمتنا.. نحن دعاة ولسنا قضاة..!!

أقول: هذه هي النفس العالية التي ترتفع فوق مستوى التدني قولاً وعملاً، وتؤمن بالحق كائناً حياً لا يعتريه الموت، وبالباطل كائناً ميتاً مهما تظاهر بالحياة، وكأنه ﷺ يتمثل كلمات للإمام علي ﷺ: والله ما ذل ذو حق ولو قامت الدنيا عليه، ووالله ما عزّ ذو باطل ولو طلع القمر بين عينيه.

كان يسره دحر الباطل وانتصار الحق بلا شماتة، كنا بالمركز العام حين أذيع الحكم بالإعدام على إبراهيم عبد الهادي باشا - خصم الجماعة - فارتفعت الأصوات: الله أكبر ولله الحمد، فاعترض في غضب وقال: مهلاً أيها الإخوة، حسبنا أن نحمد الله بلا شماتة، ومن يدري فقد تدور الدائرة عليكم.

وكان ابنه المستشار مأمون على نفس المستوى.. ففي 28 سبتمبر عام (1970م) كنا نشاهد في معتقل مزرعة طرة برنامج (نور على نور) - الذي كان يُعدّه الأخ أحمد فراج - وتوقف البرنامج فجأة، وبدأت تلاوة القرآن، وأخذنا نضرب أخماساً في أسداس: ماذا حدث؟ وقطع صمتنا ظُهور أنور السادات على الشاشة ودموع التماسيح في عينيه، يقول: رحل الساعة أعظم الرجال.. وما إن قال: الرئيس جمال عبد الناصر.. حتى ارتفعت الأصوات: الله أكبر ولله الحمد..! ووقف الأستاذ مأمون في غضب يقول: عيب أيها الإخوة، فلا شماتة في الموت..!!».

بمثل هذه الاستقامة..

وبمثل هذا الأدب الرفيع.. والترفع عن الانتقام.. يكون الاقتداء.